جولدتسيهر أبو الدراسات الاسلامية[1]

بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على وفاته

فى الثالث عشر من نوفمبر الماضى تمت خمس وعشرون سنة على وفاة أجناتس جولدتسيهر المستشرق العالمى الفريد الذى عد فى آخر حياته أبا الدراسات الاسلامية المصرية . فقد قضى ج . مخلفاً تراثا علميًّا ضخما يبلغ زهاء ٦٠٠ كتاب ومبحث[2] فى الدين الاسلامى وفلسفته ، وتصوفه وشيعته ، وتاريخ مذاهبه وفرقه ، وفى أدب العرب ولغتهم وفى مواضيع أخرى . وإنى لأشهد أنى فى كل ما قرأت لج . من البحوث العلمية لم أقع على صفحة واحدة تخلو من شئ جديد لم يسبقه إليه أحد ، ولا سيما الشواهد التى جمعها من مصادر ومظان شتى بين قديمة وحديثة . أجل ! إن كية إنتاج ج. العلمى لجديرة بالاعجاب والتقدير . غير أن ما يخلد ذكره ويرفع مكانته بين باحثى الشرق ومحبيه ليست كية إنتاجه العلمى بل ابتكاره طرقاً جديدة فى درس التمدن الاسلامى وتطوره. قال العلامة المستشرق ك . ه . بيكر فى رثائه لج . — وكان بيكر حينئذ وزير المعارف فى بروسية ، ورثاؤه من أحسن ما كتب عن ج. [3] — « مهما تكن التطورات والتعديلات التى تطرأ على بحث الاسلام فى المستقبل فما لا شك فيه أن هذا البحث سيقوم دائماً على الأسس والمناهج التى وضعها ج. »

---

(١) كتب هذا المقال باللغة العربية المستشرق المعروف الأستاذ . س . د . غويطاين خاصة لمجلة «الكاتب المصرى» .

(٢) أحصى برنرد هيلر فى كتابه « مؤلفات أجناتس جولدتسيهر » باريس ١٩٢٧ ، ٥٩٢ مؤلفاً ومبحثاً . غير أن هيلر سها عن بعض البحوث ومنها المقالات التى وضعها ج. بالعبرية ، وسيأتى ذكرها فيما يلى .

(٣) رجع الأستاذ عبد الرحمن بدوى إلى ذلك الرثاء فى الفصل الذى كتبه عن ج. فى كتابه «التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية» الطبعة الثانية سنة ١٩٤٦ ، ص ٣٠٨—٣١٩ .

ولد ج. فى سنة ١٨٥٠ فى إحدى مدن المجر . غير أن أصل أسرته سفارادى أى من الأندلس . وقد هاجرت هذه الأسرة — ككثيرات غيرها — من جنوب أوربا إلى هولندا ، ومنها انتقلت فى القرن السابع عشر إلى همبورج فى ألمانيا . وفى النهاية استقر فرع منها — وهو الفرع الذى ينتسب إليه ج . — فى بلاد المجر التى كانت فى ذلك الحين جزءاً من الامبراطورية النمساوية . فلا عجب إذن أن يتقن ج. اللغتين المجرية والألمانية من صغره . ثم درس العبرية وهو طفل على معلم خصوصى أقام فى دار والديه . وقد لبث ج . يذكر هذا المعلم شاكراً مطنباً طوال حياته ويردد : إن كنت قد فزت بشئ من الأخلاق الحميدة فانما يرجع ذلك إلى اثنين : إلى مطالعتى الدائمة فى كتاب الهداية إلى فرائض القلوب (وهو كتاب فلسفى أخلاقى وضعه الحاخام بحاى بالعربية) وإلى معلمى موسى الذى كان مثالا للورع والتواضع مع أنه كان يضربنى كلما غلطت أيسر غلطة فى تلاوة التوراة . وطبقاً للمعتاد فى ذلك الوقت درس ج. اللغتين اللاتينية واليونانية وأجادهما . وقد أعانه إتقانه هاتين اللغتين كثيراً على بحثه فلسفة القرون الوسطى وسائر علومها ؛ فقد تجد مراجع كلاسيكية وافرة واردة فى معظم كتبه يضاف إلى ذلك أنه كتب بحوثا خاصة لقضية تأثير الفكر اليونانى فى العالم الاسلامى ، مثل مقاله الممتاز عن العناصر الأفلاطونية الحديثة والأجنوسطية فى الحديث أو بحثه عن موقف الاسلام القديم من العلوم اليونانية[1] .

كان ج. ناضج العقل وهو صغير ؛ فقد طبع أول كتاب له ولمّا يَعْدُ الثانية عشرة من عمره . ما رأيت هذا المؤلف ولكن من التلخيص الفرنسى الذى وضعه له البروفسير برنهرد هيلر فى كتابه « مؤلفات جولدتسيهر » يتبين أن طريقته كانت علمية محضة . وموضوعه تطور الصلاة فى الدين الموسوى وإلغاء الزيادات المتأخرة التى أضيفت إليها على مرور الزمن . نشر ج . وهو شاب يدرس فى إحدى المدارس الثانوية قطعاً مترجمة عن اللغة التركية إلى المجرية . وكذلك نقل — وهو طالب فى الجامعة — قطعاً عن اللغة الفارسية إلى العبرية . ومما يلفت النظر مقالة نشرها وهو ابن تسع عشرة سنة فى جريدة عبرية أسبوعية كانت تصدر فى باريس قابل فيها بين طريقة البيضاوى فى تفسير القرآن وطرق

---

(١) ترجم هذين المقالين إلى العربية الاستاذ عبد الرحمن بدوى فى كتاب التراث اليونانى السابق الذكر .

الشرح للتوراة فى التلمود . وأضاف إلى ذلك قوله : إن بحث هذه الطرق وعلاقات بعضها ببعض أمر مفيد جدًّا . ولا شك أن من يتناول هذا البحث الواسع العميق يستحق الشكر . ونحن نعرف اليوم من كان الرجل الذى تناول هذا البحث الواسع العميق . و بعد مرور أكثر من خمسين عاماً على نشر تلك المقالة أصدر جولدتسيهر فى سنة ١٩٢٠ كتابه العبقرى « اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين» الذى أنجز فيه وعداً قطعه على نفسه وهو شاب فى العقد الثانى من عمره.

درس ج. الشرقيات فى بودابست عاصمة المجر على فامبيرى ، وهو مستشرق يهودى الأصل اشتهر بسياحاته الجريئة فى تركستان وغيرها من بلاد آسيا الوسطى ، و بتآليفه الكثيرة عن اللهجات التركية والحياة الاجتماعية والسياسية فى بلاد الشرق . وقد أخذ ج . عن هذا الأستاذ علاقته الحية المباشرة بالشرق الحاضر . ومع أنه ما كان أحد يضاهى ج. فى كثرة المطالعة للكتب والمخطوطات القديمة ، فانه لم يزل يتتبع تطور الشرق المعاصر إلى يومه الأخير . وكثيراً ما كان يفسر ظاهرات مبهمة مذكورة فى المصادر القديمة على ضوء الحياة الشعبية العصرية فى الشرق . غير أن ج . خلافاً لأستاذه فامبيرى ما كان يتدخل فى الأمو ر السياسية مطلقاً ، وكان يرفض رفضاً باتًّا كل محاولة ، مهما كان مصدرها ، ترمى إلى استغلال مكانته ونفوذه لأغراض سياسية .

وفى سنة ١٨٧٠ فاز ج. بالدكتوراه وهو فى العشرين من عمره من جامعة ليبتسيك باطروحة لغوية . وفى السنين التالية لها نشر عدة كتب ومقالات عن درس اللغة عند العرب وغيرهم . ولكن اللغة كانت عند ج. وسيلة لا غاية . وما كانت عنايته الجوهرية الرئيسية إلا بالأفكار وتطورها من جهة ، والحياة — الحياة الدينية والحياة الشعبية — من جهة أخرى . وما مرت أربع سنوات على نشر أطروحته حتى وضع كتابين بشرا بأنه سيكون مؤرخ الاسلام المستقبل : كتاباً بالمجرية فى العروبة والشعوبية ، وآخر بالألمانية فى مؤلفات مذهب الشيعة والجدل بين المذهبين الشيعى والسنى . وفى ذلك الحين سنحت له الفرصة بالسفر إلى الشرق ، فزار سوريا وفلسطين ومصر ، وتوثقت عرى الصداقة بينه و بين بعض علماء دمشق و بعض شيوخ الأزهر . وقد استمرت تلك الصداقة إلى آخر أيامه . غير أنه شكا فى كتاب أرسله إلى صديق له أثناء الحرب العالمية الأولى أن أكثر أصدقائه الخصوصيين فى الشرق قد توفوا ولم يبق منهم على قيد الحياة إلا القليل .

وبعد رجوعه من هذا السفر الخصب عالج ج . موضوعاً شاقا واسع الأطراف أبعده كل البعد عن بحوثه الاسلامية ، وهو كتاب دافع فيه دفاعاً حماسيًّا عن الشعوب السامية ، ورد على أرنست رينان الذى زعم فى كتابه المشهور « تاريخ اللغات السامية » أنه ليست للساميين ميثولوجيا — أى أساطير — لأنهم عديمو الخيال الفنى . وبيّن ج. فى كتابه ضخم اسمه « الميتوس — أى الأساطير — عند العبريين » أن الميثولوجيا درجة من درجات التطور الانسانى لا بد أن تجتازها كل أمة فى حين من الأحيان . واستشهد على ذلك بكثير من قصص الكتاب المقدس وغيره من المصادر السامية مثبتاً أن الساميين كغيرهم من الأمم كانوا أصحاب أفكار خيالية ميثولوجية قبل أن تنشأ فيهم الدعوة الدينية . وقد صادف هذا الكتاب إقبالا حسناً فى وقته ، وترجم على الفور إلى اللغة الانكليزية . واليوم بعد كشف الآثار البابلية الأكادية ، ولا سيا بعد حل رموز ألواح رأس الثمرة فى شمالى سوريا ، نقدر أن نقول إن رأى ج. كان أقرب إلى الصواب من زعم رينان . غير أن ج . لم يلازم بعد ذلك هذا النوع من البحوث طويلا بل رجع إلى الدراسات الاسلامية والعربية التى قصر عليها جهوده طيلة عمره . ونظراً للعلاقات الوثيقة بين الدينين الاسلامى والموسوى واللغتين العربية والعبرية كان من طبيعة الأمور أن يجعل هذا العالم الاسرائيلى الكبير نصيباً من عنايته لبحث هذه العلاقات . نذكر سلسلة مؤلفة من أربع وثلاثين مقالة عنوانها بحوث يهودية عربية نشرت فى مجلة الدراسات اليهودية الفرنسية أثناء عشر سنوات (١٩٠١ — ١٩١٠) أو مقالته « فكرة يوم السبت فى الاسلام » أو بحوثه الكثيرة عن تأثير الأدب العربى فى الشعر العبرى والفلسفة اليهودية فى القرون الوسطى . ولكن ج . إنما كان عزمه شديداً أن يتخصص فى دراسة الاسلام والأدب العربى فقط . وفى كتاب بعث به ج . إلى صديق له شجعه على تناول مواضيع يهودية كتب ج. متفكها : إنى خلقت تحت نجم هاجر — أم إسماعيل — وكتب علىّ أن أستنفد جهدى فى أدب حفدتها العرب ودينهم .

وقبل أن نعرض لنتيجة هذا الجهد الكبير الفريد يجدر بنا أن نصف بايجاز ظروف حياة ج . الخارجية منذ رجوعه من سفره إلى بلاد الشرق الأدنى فى سنة ١٨٧٤ إلى حين وفاته فى سنة ١٩٢١ . سبق لج .أن أحرز إجازة التدريس فى جامعة بودابست منذ عامه الثانى والعشرين . غير أن نفوذ الدوائر الدينية

كان حينئذ قويا جدًّا فى تلك الجامعة ، ولم يكن يعين فيها حتى عالم بروتستنتى مدرساً رسميًّا إلا بعد الكثير من المتاعب ، فكيف بعالم يهودى ؟ لذلك اضطر ج . إلى أن يبحث له عن عمل خارج الجامعة ، فشغل منصب سكرتير الطائفة الاسرائيلية فى تلك المدينة الكبرى طوال ثلاثين عاماً . و بالرغم من عدم الفراغ والراحة أثناء أحسن اوقات حياته ، و بالرغم من عمله الادارى المرهق الذى يكرهه وضع ج. فى تلك السنين كتباً عديدة ومئات البحوث واشتهر فى العالم حتى صار ثقة فى الاسلام والآداب الاسلامية . وأخيراً فى سنة ١٩٠٤ عين مدرساً رسمياً فى جامعة بودابست ، وانتخب رئيساً للقسم الأدبى فى الأكاديمية المجرية ، ونال تشريفات أخرى منها لقب دكتور شرف من جامعتى كامبريدج الانكليزية وأبردين الأسكتلندية وعضوية شرف فى المجمع العلمى المصرى

عانى ج . عناء شديداً حتى بلغ فى النهاية هذه الدرجة الرفيعة . غير أنه ما كان من المتذمرين كان هذا الرجل صاحب توكل وصبر . وقد مهر رسائله بخاتم فيه الاية القرآنية الواردة فى سورة يوسف « فصبر جميل والله المستعان » وإنه لفى وسع كل عربى مثقف اليوم أن يقدر طرفاً من الخدمة التى أداها ج . لدراسات الاسلام بعد أن ترجم اثنان من مؤلفاته المهمة إلى اللغة العربية ، وهما : « اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين » وهو آخر كتاب له صدر فى حياته وكتاب « العقيدة والشريعة فى الاسلام » الذى سبقه بعشر سنوات ونشر سنه ١٩١٠ .

لقد قيل إن من المحتمل أن يكتب تاريخ الفكر الدينى الاسرائيلى بصورة وصف تطور التفسير للتوراة على مرور الأجيال ؛ لأن كل شئ فى اليهودية يبدأ من التوراة وكل شئ يرجع إليها . فأخذ ج . هذه الفكرة ونقلها إلى البحوث الاسلامية . وعلينا أن نذكر أن كتابه « اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين » كان آخر كتاب وضعه وهو النتيجة الناضجة لدراسات قام بها خلال خمسين سنة تقريباً . لم يدع ج . فرعاً من فروع العلوم الاسلامية إلا عالجه . أما فى آخر عمره فقد استرعى اهتمامه ذاك الأصل الذى بدأ منه كل شئ فى الاسلام و إليه يرجع كل شئ وهو القرآن ونفسيره . وأهمية التفسير : أن آراء كل جيل من أجيال الاسلام و بواعثه النفسية لا بد أن تبدو بأوضح طريقة فى شرح الكتاب الذى هو أساس الدين وحجته فى كل زمان .

ونرى ج . يقف أولا عند اختلاف القراء القدماء فى قراءات القرآن موقناً أن هذه الاختلافات فى كتابة القرآن وتشكيله ربما تعبر فى الواقع عن اختلاف الآراء والبواعث . ونراه يسهب فى الكلام عن تفسير الطبرى الكبير الذى يقع فى ٣٠ مجلداً ؛ لأن هذا الأصل النفيس يشف عن أفكار الاسلام القديم الأصلى . ويتبعه بشرح المعتزلة أهل العدل والتوحيد ، وتأويل الصوفيين الذى فيه شئ من طرق التأويل التى اخترعها فيلون الفيلسوف الاسكندرى ، كما يتحدث عن تفسير الشيعة على مختلف فروعها . ويختم الكتاب بفصل كبير عن النهضة الحديثة فى مصر وسائر البلاد العربية وتركية وفى بلاد الهند وتأثيرها فى التفسير العصرى للقرآن .

فى رسالة بعث بها ج . إلى صديق له فى آخر أيامه شكا إليه المتاعب التى عاناها فى وضع هذا الكتاب : « كم ليلة أحييت وكم سنة أبليت فى إعداد هذا المبحث الجاف » . بل لنسمع ما قاله عنه بيكر فى رثائه المشار إليه سابقاً : « كتب ضخمة عظيمة الحجم كدنا نحن نعرف أسماءها قرأتها أنت يا ج . من أولها إلى آخرها ، وحددت مكانتها من تطور الاسلام . لذلك حق لك شكرنا وشكر هذا الفرع من علوم الاسلام الذى ما كان معروفاً منه قبلك إلا القليل . »

لست أرى ضرورة إلى أن أسهب فى الكلام عن كتاب ج . الآخر الذى حظى بالتعريب ، أعنى كتاب « العقيدة والشريعة فى الاسلام » ؛ لأن هذا الكتاب من أمهات المصادر العلمية التى تجب تلاوتها على كل من يريد أن يتثقف فى شؤون الشرق . قسم ج . الكتاب ستة أقسام ، خصص أولها للقرآن وأوائل الاسلام ، وثانيها للفقه والمذاهب الأربعة الرئيسية وغيرها من المذاهب ، والقسم الثالث للالهيات والعقائد ، والرابع للزهد والتصوف ، والخامس للشيعة وللفرق الاسلامية الأخرى ، والسادس للحركات الدينية الحديثة عند المسلمين . وكان ج . قد وضع مثل هذا الكتاب باللغة المجرية فى سنة ١٨٨١ أى قبله بثلاثين عاماً ، فجاءت فيه فصول لم يكررها فى تأليفه المشهور . وأهم هذه الفصول فصل عن الآثار الفنية الاسلامية وعلاقاتها بالفكر الاسلامى ، وفيه فائدة طائلة . ترجم كتاب العقيدة والشريعة فى الاسلام إلى اللغة الانكليزية فى أميركا أثناء الحرب العالمية الأولى ، فطبعت هذه الترجمة ، وأحرقت كلها لأنها كانت زاخرة بالأغلاط . وترجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية أيضاً . وما كانت هذه الترجمة فيما

أعرف تخلو من المآخذ كذلك . ولا أقدر أن أقول شيئاً عن الترجمتين الروسية والمجريه . أما الترجمة العبرية الاولى التى صدرت قبل عشرين عاماً فقد اضطررت أن أشهد أن الحرق كان اولى بها أيضا (ستصدر فى هذه السنة ترجمة عبرية جديدة) . ولعل ج . شعر بأن حظ كتابه سوف يكون على هذا النحو ؛ لأنه لما بعث به إلى المطبعة كتب إلى بعض أصدقائه يقول : « يقشعر جلدى من متاعب تصليح المسودات (البروفات) ومن حماقة القراء فى المستقبل » . يدل ذلك كله على أن هذا الكتاب يحتاج إلى الدرس و إمعان الفكر مع أنه واضح العبارة جذاب الأسلوب .

وضع ج . هذين الكتابين فى أيام شيخوخته بناء على طلب تلقاه من جامعات ودوائر علمية شتى . فكتابه « العقيدة والشريعة فى الاسلام » عنوانه فى الاصل « محاضرات عن الاسلام » ؛ لأن الكتاب أعد ليكون سلسلة من المحاضرات تلقى فى أميركا . ومن جهة ثانية قبل دعوة جامعة ابسالا فى بلاد السويد حيث القى محاضرات اخرى اخرجها بعد ذلك بصورة كتاب « اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين » . فمن العجب أن ج. مع أنه خلف كما ذكرنا زهاء ٦٠٠ كتاب ومبحث ومع أنه كان أستاذاً موفقاً جداً ومحدثاً طلق اللسان — من العجب أنه لم يكن معنيا إلا بالبحث والاستكشاف والعثور على معلومات ما سبقه إليها أحد ، ولم يكن يعنيه كثيراً أن يلخص نتائج دراساته و ينشرها للجمهور . لذلك فمن أراد أن يعرف ج. حق المعرفة ويستفيد من جهده العلمى تمام الفائدة فعليه أن يكتفى بمطالعة كتابه التلخيصى الشامل عن الاسلام الذى وضعه وهو طاعن فى السن ، بل عليه أيضاً أن يرجع إلى مباحثه الاختصاصية العبقرية التى ابتكر فيها طرقاً جديدة فى دراسة الاسلام . لا نقدر أن نشير إلى هذه المباحث إلا فى غاية الايجاز . وفى الابتداء يجدر بنا أن نتكلم عن كتابه المشهور « مباحث إسلامية » الذى صدر فى مجلدين سنة ١٨٨٩ و ١٨٩٠ ، والذى عالج فيه ظواهر شتى فى الحياة الدينية والاجتماعية فى الاسلام ، منها «المروءة والدين» أى النضال العنيف بين روح الجاهلية العنصرية الأرستقراطية و روح الاسلام الداعية إلى المساواة الديمقراطية . وهو موضوع كان قد كتب عنه من قبل بالعبرية فى بحثه « العروبة والشعوبية » السالف الذكر . و إنما أردنا أن نلفت النظر إلى بحثه عن الحديث الوارد فى ذلك الكتاب لأنه مثال واضح لمنهجه المبتكر .

من المشهور أن مع الأحاديث الصحيحة الحقيقية نقلت أحاديث أخرى كثيرة شهد علماء الاسلام أنها ضعيفة أو موضوعة . فلنسمع رأى ج . فى هذا النوع من الأحاديث . صحيح أن هذه الأحاديث لا قيمة لها أو أن قيمتها ضئيلة لمعرفة عصر النبى وأصحابه . أما لمعرفة الآراء والبواعث النفسية التى كانت تسود فى العصور التى وضعت فيها تلك الأحاديث فهى أصدق مصدر وأفصحه . لأن المرء ما كان ليضع شيئاً و ينسبه إلى النبى وأصحابه إلا وهو معتقد اعتقاداً قويا أن هذا الشئ حق وفى مصلحة الاسلام . و بناء على هذه الطريقة وضع ج . تطور الاسلام فى قرونه الأولى وضعاً مفصلا كل التفصيل ، توجد خلاصة منه فى كتابه « العقيدة والشريعة فى الاسلام » .

وما عدا الحديث عالج ج. كثيراً الفقه والعقيدة . من المشهور أن تقسيم أهل الاسلام إلى المذاهب الأربعة الرئيسية إنما هو نتيجة تطور امتد قروناً عدة . فلإيضاح هذه القضية رأى ج. أن يبحث مذهباً ليس من المذاهب الأربعة الكبيرة ، وهو مذهب الظاهريين ، أى مذهب من كان يقول بظاهر الكتاب فقط ، وكان يرفض تأويل القرآن وما يستنتج منه . هذا الرأى الظاهرى له علاقة بالشريعة والعقيدة معًا . ولذلك كان كتاب ج . فى الظاهرية الذى صدر فى ١٨٨٤ بحثاً مركباً من دراستى الفقه والإلهيات . وأن هذا الكتاب أول بيان مسهب لماهية الفقه فى دين غير الدين المسيحى ؛ ولأجل ذلك أثر تأثيراً كبيراً و يعتبر إلى اليوم من أحسن ما كتبه ج. وجدير بالذكر أن علماء المسيحيين الذين كتبوا عن اليهودية وبالأخص جورج فوت مور فى مؤلفه المهم ***Judaism*** إنما كانوا يعتمدون على هذا الكتاب لإيضاح خصائص الدين الاسرائيلى . ومن بحوث ج. الأخرى فى الفقه والعقيدة كتابه (١٩٠٢) عن أبى تومرت المهدى مؤسس حركة الموحدين فى المغرب ، درس فيه خصائص الفقه المالكى وآراء المهدى الجديدة المتعلقة به ، وكتاب عن رد الغزالى على الباطنية وهى فرقة متطرفة من فرق الشيعة الاسماعيلية (١٩١٦) .

ولا بد من الاشارة إلى بحوث ج. فى التصوف . فى كتابه ***An Introduction to the History of Suffism*** وهو بحث عن تقدم الدراسات الصوفية فى أوربا حدد البروفسور اربرى مقام ج . فى هذا التقدم قائلا : إن ج. هو الذى أوضح بإسهاب الفرق العميق بين الزهد (يعنى حركة

العباد الزهاد السذج القدماء) و بين التصوف الفلسفى الفكرى الذى ربما تأثر بالآراء الأفلاطونية الحديثة والبوذية الهندية . غير أننى أريد أن أذكر من مباحث ج. بحثاً آخر لم يرد فى كتاب اربرى ، برهن فيه ج. على أن الحد بين التصوف القديم غير المركب والتصوف الأحدث الفلسفى ليس قطعيا ؛ إذ توجد حتى فى الحديث القديم آراء ليست بعيدة عن الأفكار الأفلاطونية الحديثة التى بدت بعد ذلك فى التصوف . وهذا المثال يدل على أن بحوث ج. بحر لا نهاية له يصعب أن يحيط به أحد . ولذلك لو قام عالم ونظم فهرساً لأهم الأعلام والمواضيع الواردة فى مباحث ج . لأدى خدمة جليلة للدراسات الاسلامية .

وهنالك ملاحظة عن شئ استغربه غير واحد ممن قرظ ج. حيا أو رثاه بعد وفاته . وهو أن ج. قد كتب كثيراً عن العلاقات بين الأديان ؛ فانه وضع مبحثين باللغة الألمانية عن تأثير المسيحية فى الحديث وغيره من أصول الدين الاسلامى ، ونشر مقالة بالفرنسية عن المجوسية والاسلام ، ومقالة بالمجرية مسهبة عن نفوذ البوذية الهندية . غير أن هذا العلامة الذى كان يشهد على نفسه أنه ما كان يمر به يوم إلا وهو يدرس قطعة من التلمود والذى جاء بمئات من المقابلات بين ظاهرات فى الاسلام واليهودية منبثة فى مباحثه ، لم يخص تأثير اليهودية فى الاسلام بمبحث على حدة . كان سبب ذلك فى رأيى رغبته فى الابتعاد حتى عن مجرد التهمة بالتعصب والإيثار . لأن ج. كان رجلا منصفاً وربما كان يخشى أن يخل بالانصاف مبحث من هذا النوع .

ذكرت أن ج. زار مصر فى أيام شبابه ، وأن عرى الصداقة توثقت بينه و بين بعض علمائها . و بذلك تمت علاقاته بهذه البلاد . فلما أسست الجامعة المصرية فى سنة ١٩٠٨ حرص مؤسسها الكريم الأمير فؤاد — الذى تسلم عرش مصر بعد ذلك — على أن يجذب إليها أشهر المستشرقين ، فوجه إلى ج. رسائل يعرض عليه التدريس فيها ، ثم سار إلى بودابست حيث كان يقيم ج. ليفاوضه شخصيا وليحمله على قبول عرضه ، وقد جرى ذلك فى شهر أكتوبر سنة ١٩١١ . و ج . يتحدث مراراً فى رسائل بعث بها إلى أصدقائه عن الشرف العظيم الذى أنالته إياه زيارة الأمير المليك

غير أن ج . الذى كان قد بلغ العقد السابع من عمره التمس من الأمير المليك أن يعفيه من هذا الشرف ، وأن يعهد بهذه المهمة الخطيرة إلى علماء أحدث منه

سناً ، ولا سيما أنه كانت لديه مواد علمية كثيرة جمعها خلال السنين الطويلة التى قضاها فى الخدمة الإدارية ، وكان شديد الرغبة فى تنقيحها وإصدارها فى حياته . ومن أهم هذه المواد كتابه القيم « اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين » وكتب وبحوث أخرى سبق ذكر بعضها .

إن ج. لم يحظ بالعودة إلى مصر شخصيا ، بل تمكن من العودة إليها بصورة أفضل وأعظم دواماً ، إذ ترجم اثنان من أحسن مؤلفاته إلى اللغة العربية ، وقام بهذا المشروع خير من يصلح له وهم طائفة مختارة من علماء مصر والأزهر الشباب الذين أضافوا إلى ثقافتهم العربية الاسلامية العميقة ثقافة أوربية واسعة كذلك .

ويسرنى أن أورد نبذة مما استقبل به عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين صدور كتاب « العقيدة والشريعة فى الاسلام » باللغة العربية إذ يقول :

« وما من شك فى أن الذين يقرءون هذا الكتاب من المثقفين العرب لن يجدوا فى قراءته لذة ومتعة فحسب ولكنهم سيجنون من هذه القراءة ثمرات لا يستطيع كثير منهم أن يجنيها من قراءة كتبنا القديمة التى بعد العهد بينها وبين عقلنا الحديث . »

فانى لك أى ج. أن تسمع هذه الشهادة التى يشهد لك بها من هو أهل لتقدير خدماتك للاسلام والعرب . وهنيئاً لك أن يقال عن كتابك هذا الذى وضعته للمثقفين من أهل أوربا وأميركا والمتخصصين فى الدراسات الدينية بأنه يستطيع أن يكون كذلك وسيلة مجدية حتى للمثقفين العرب لفهم غابر دينهم وتاريخه . وأحسبك ما كنت تطمح أن تنال ثواباً أعظم من هذه الترجمة وهذا التقدير .

ويستطيع علماء مصر أن يجعلوا هذه الخدمة أعم إذا نهضوا لترجمة تلك الكتب التى نشرها ج. بلغات غير عالية ولا سيا بالمجرية ، ومنها « مكان عرب أسبانيا فى تاريخ الاسلام ومقارنته بمكان عرب الشرق » و « تاريخ علم اللغة عند العرب » وفصل عن « الآثار الاسلامية وعلاقاتها بتطور الفكر الاسلامى » من كتاب بالمجرية عن الاسلام سبق ذكره . ومبحثه « فن كتابة التاريخ عند العرب » و « تأثير البوذية فى الاسلام » .

وفى الختام أحب أن أقرر بأن ج . كان يعتقد أن دراسة الأديان لا تهم المتخصصين فقط بل عامة المثقفين كذلك : لقد كان بحث الأديان ديناً له . وقد

تعرض ج. لهذا الموضوع فى كتابه « ماهية اليهودية وتاريخها » الذى صدر بالمجرية بعد وفاته وتوجد خلاصة عنه بالفرنسية فى كتاب «مؤلفات جولدتسيهر » السابق ذكره .

أجل ! لقد كان ج. المثل الأعلى للبحث المنزه الذى لا ينطق عن الهوى ولا يسأل الأجر ، إنما هو ابتغاء وجه الحق وطلب العلم ، لا العلم لأجل العلم فحسب ، بل العلم المؤدى إلى تهذيب الأخلاق وهداية الناس إلى ربهم

س. د. غريطاين